



مؤسسة
الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست في بيروت عام ١٩٦٣

غاية للمؤسسة البحث العلمي في مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي.
وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي. وهي لا تتوخى الربح التجاري.

2011/9/30، ملحق خاص

مختارات من الصحف العبرية

نشرة يومية بعدها جهاز متخصص يلخص أهم ما في الصحف الإسرائيلية
من أخبار وتصريحات وتحليلات لكبار المحللين السياسيين والعسكريين

المحررة: رندة حيدر

ملحق خاص (2-7)

– لماذا تقف روسيا إلى جانب سورية؟

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

شارع أنيس النصولي، فردان
ص. ب. ٧١٦٤ - ١١
الرمز البريدي ١١٠٧ ٢٢٣٠
بيروت - لبنان

هاتف

+٩٦١-١-٨٧٨٣٨٧
+٩٦١-١-٨١٤١٧٥
+٩٦١-١-٨٠٤٩٥٩

فاكس

+٩٦١-١-٨١٤١٩٣
+٩٦١-١-٨١٨٣٨٧

بريد إلكتروني

ipsbri@palestine-studies.org

موقع إلكتروني

www.palestine-studies.org

ملحق خاص

لماذا تقف روسيا إلى جانب سورية؟*

ألكس خلبنيكوف**

يخوض النظام السوري برئاسة بشار الأسد معركة من أجل البقاء، فالقمع العنيف الذي يمارس منذ أشهر بحق المتظاهرين ضد النظام فشل في تحقيق النتائج المتوخاة، وأثار في الوقت نفسه إدانة شبه جامعة له. كذلك تسعى الحكومات الغربية الآن لزيادة الضغوط، معتبرة أن بشار فقد شرعيته وعليه بالتالي أن يتنحى، إلا إن الجهود التي تبذلها هذه الحكومات للاستحصال على قرار في مجلس الأمن ينص على فرض عقوبات على نظام الأسد تلقى معارضة شديدة من روسيا التي يجمعها بسورية حلف تاريخي وعلاقة زبائنية منذ نصف قرن.

ما الذي يكمن خلف تصميم روسيا على الوقوف إلى جانب حليفها القديمة؟ بحلول نهاية القرن العشرين، تلقت الطموحات العالمية لروسيا ضربة قوية عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، ونتيجة الأزمة الداخلية التي شهدتها البلد. لكن بحلول أواسط العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، استقر الوضع السياسي والاقتصادي الداخلي في روسيا، وتجددت طموحاتها الجيوسياسية. صحيح أن مصالح موسكو الأساسية تكمن في الغرب، لكنها تتطلع أيضاً، أكثر فأكثر، نحو آسيا (الصين، الهند، اليابان، كوريا) والشرق الأوسط. ففي الأعوام الأخيرة، سوقت روسيا سياساتها الشرق أوسطية بأنها "عودة" إلى المنطقة، فأعادت إلى الأذهان صوراً من الحقبة السوفياتية، عندما كانت مقتضيات الحرب الباردة تحدد، بشكل أساسي، سياساتها الإقليمية. اليوم، يرى

* المصدر: معهد موشيه دايان لدراسات الشرق الأوسط، مجلة "Tel Aviv Notes"، المجلد الخامس، العدد 18، 2011/9/26.

** ألكس خلبنيكوف متدرب في برنامج أميرة مارغاليت التدريبي البحثي الصيفي في معهد دايان لسنة 2011، وطالب دكتوراه في جامعة لوباشفسكي ستايت في نيوجرسي نوفغورود في روسيا.

الكرملين في الشرق الأوسط ساحة حيث يمكنه استخدام مجموعة متنوعة من الأدوات للتأثير في التطورات الإقليمية، ولا سيما تلك التي تؤثر في مصالح القوى الخارجية. فضلاً عن ذلك، تهدف السياسات الروسية في الشرق الأوسط إلى إرساء ثقل موازن في مقابل السياسة التي ينتهجها حلف شمال الأطلسي (الناتو) في أوروبا حيا لروسيا.

لذا، رسخت موسكو مؤخراً روابطها السياسية والعسكرية مع حلفائها التقليديين، ولا سيما سورية، وهي أيضاً في طور الدخول في حوار حيوي مع إسرائيل، كما أنها تعامل تركيا كشريكة أساسية في المنطقة، وتحافظ على علاقة مزدهرة ولو معقدة مع إيران، وتعمل على تعزيز التجارة مع الدول العربية الغنية بالطاقة في الخليج ومع الجزائر وليبيا. وفي اختلاف جذري عن الحقبة السوفياتية، تبقى روسيا خطوط التواصل مفتوحة مع كل الفاعلين المهمين في المنطقة.⁽¹⁾

في سنة 1944، أقام الاتحاد السوفياتي علاقات دبلوماسية مع سورية التي كانت قد نالت استقلالها حديثاً، لكنها لا تزال تخضع للاحتلال. وبحلول مطلع الخمسينيات، أصبحت سورية، المنحازة في تطورها للاشتراكية، بالتدريج، من أهم شركاء الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط. وارتدت العلاقات الروسية - السورية الاستراتيجية طابعاً شديد الأهمية عندما بدلت مصر توجهها واستدارت نحو الولايات المتحدة بعد حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 ووقّعت معاهدة سلام مع إسرائيل سنة 1979. وقد دعمت موسكو، التي كانت بحاجة إلى الحفاظ على وجود لها في المنطقة والحؤول دون تآكل موقعها أكثر فأكثر، دمشق في معركتها مع إسرائيل، وساعدت في تعزيز النفوذ السوري في لبنان.

مع وصول ميخائيل غورباتشيف إلى السلطة في أواسط الثمانينيات تراجعت مصالح روسيا، كما تراجع تأثيرها في شؤون الشرق الأوسط، واستمر هذا التراجع مع انهيار الاتحاد السوفياتي، الأمر الذي شكل مصدر قلق كبير لسورية، إذ إن الدولة الأكثر نفوذاً التي تدعمها توجهت نحو الداخل. لكن دمشق تمكنت من التأقلم مع الوضع الجديد، وذلك عبر اتباع سياسات خارجية مستقلة أتاحت لها الحفاظ على مواقفها الأساسية مع تفادي العزلة الدولية. إلا إن حالة العداء المستمرة مع إسرائيل والضغط المتواصلة التي مارستها الولايات المتحدة ودول غربية أخرى على دمشق، جعلت سورية في حاجة إلى تجديد الدعم الروسي لها. أمّا بالنسبة إلى موسكو، فإن سياستها

الشرق أوسطية تستند إلى محورية المكانة التي تتمتع بها سورية في المنطقة واستحالة التوصل إلى سلام عربي - إسرائيلي شامل من دون دمشق. لذلك، سعت روسيا للتأثير في الآليات الإقليمية من خلال شراكتها مع سورية، وتفاعلها مع إيران، الحليفة الاستراتيجية لسورية في المنطقة، واتصالها بحركة "حماس" و"حزب الله"، العميلين الأساسيين لسورية. وقد عبّر وزير الدفاع الروسي الأسبق سيرغي إيفانوف عن هذا التفكير بوضوح، مشدداً على أن الشرق الأوسط هو "في غاية الأهمية للمصالح الجيوسياسية والاقتصادية" الروسية، وعلى أن التعاون مع سورية يولد "مكاسب اقتصادية وسياسية ملموسة."⁽²⁾

ومنذ سنة 2005، ارتقى التعاون الروسي - السوري إلى مستوى جديد. ففي تلك السنة، زار بشار الأسد موسكو، وأُعفيت سورية من 73% من ديونها لروسيا، وقدرها 13,5 مليار دولار، ووقع البلدان إعلاناً بشأن مواقفهما المشتركة من المشكلات الإقليمية الملحة. وجاءت الزيارتان اللتان قام بهما الأسد إلى روسيا لاحقاً، ثم زيارة الرئيس الروسي ديميتري ميدفيديف إلى سورية في أيار/مايو 2010، لتعزز أكثر فأكثر الشراكة الاستراتيجية بين البلدين في الميادين الأساسية.

إن موجة احتجاجات الربيع العربي وصلت إلى الشواطئ السورية في آذار/مارس الماضي، فأشعلت تظاهرات وأعمال شغب انتهت بصدامات عنيفة بين المتظاهرين والقوى الأمنية، وتسببت بضغوط أميركية وأوروبية متصاعدة على نظام الأسد كي يغير مساره. وقد عارضت كل من روسيا والصين والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا الاقتراح الذي قاده الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من أجل صدور قرار في الأمم المتحدة شبيه بالقرار الذي صدر بشأن ليبيا، وينص على إدانة النظام السوري لما يتسبب به من حمام دم، وعلى فرض عقوبات عليه، إذ اعتبرت هذه الدول أن القرار لن يحل مشكلات سورية الداخلية ولن يساهم في بلوغ تسوية سلمية للوضع. وفي الواقع، لن يكون للعقوبات الاقتصادية الغربية تأثير كبير في النظام السوري، إذ أمضى الأسد العقد المنصرم في تعزيز روابطه الاقتصادية مع الشرق، ولا سيما مع روسيا والصين والهند، وأيضاً مع تركيا ودول أميركا الجنوبية.

وتملك روسيا مصالح اقتصادية مهمة في سورية، فعلى سبيل المثال، تشتري سورية 10% من إجمالي صادرات الأسلحة الروسية، الأمر الذي يجعلها ثالث أكبر شارٍ

للأسلحة الروسية بعد الهند وفنزويلا. كذلك فإن 90% من السلاح السوري مصنوع في روسيا، وجرى توقيع العديد من العقود مؤخراً لتزويد سورية بطائرات قتالية حديثة وصواريخ مضادة للطائرات ودبابات، إلخ. علاوة على ذلك، وقع العديد من شركات النفط والغاز الروسية عقوداً ضخمة مع الحكومة السورية، بما في ذلك صفقات لبناء الجزء السوري من خط أنابيب غاز عربي، ومصنع لمعالجة النفط قرب تدمر،⁽³⁾ وتساهم شركات روسية عدة في تطوير احتياطي النفط والغاز السوري.

فضلاً عن ذلك، ترى روسيا في سورية حليفاً عسكرياً لها، وتسعى البحرية الروسية للتوسع خارج منطقتها الساحلية، وهي تدرس إمكان الاستفادة من التسهيلات السورية المقدمة إليها من أجل إنشاء قاعدة لعملياتها المتوسطة في مدينة طرطوس. وبينما تنفي موسكو أن يكون لديها أي اهتمام فعلي بطرطوس، يقول المسؤولون السوريون أنهم مستعدون للتفاوض بهذا الشأن. ومما لا شك في أنه سيكون هناك تداعيات جيوسياسية لإنشاء قاعدة بحرية روسية قوية في المتوسط.

ومن بين حلفاء موسكو في الشرق الأوسط، والذين كانوا كثيرين في السابق، فإن سورية هي الدولة الوحيدة التي لا تزال مقربة من روسيا. لذلك فإن الأخيرة مهتمة إلى حد كبير بما ستؤول إليه الانتفاضات الحالية في سورية، إذ ترى روسيا في التحالف مع سورية وسيلة لإرساء ثقل موازن في مقابل التأثير الأميركي في المنطقة، وأيضاً للرد على توسع الناتو نحو الشرق، ونشر منظومة الدفاع الصاروخي على مقربة من حدودها.

من جهة أخرى، تشغل إيران حيزاً أساسياً في الحسابات الروسية، وترى موسكو أن الجهود التي تبذلها القوى الغربية لإضعاف طهران ولإبعاد سورية عن حلفها معها، والمستمر منذ 32 عاماً، تشكل تهديداً لمصالحها الجيوسياسية في الشرق الأوسط الأكبر، إذ ينظر إلى محور دمشق - طهران على أنه عامل مهم في إرساء ثقل موازن في مقابل الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين. وفي حال انهيار النظام السوري، أو في أسوأ السيناريوهات، انقسم البلد إلى كيانات عدة، ستخسر روسيا حليفها المقربة الأخيرة في المنطقة، وهو ما سيجعلها أضعف بكثير في المنافسة الجيوسياسية الدولية مع الولايات المتحدة وأوروبا.

في حزيران/يونيو 2011، عبر نائب السفير الروسي إلى الأمم المتحدة، ألكسندر بانكين، عن موقف موسكو الرسمي من الأزمة السورية بقوله: "لا يشكل الوضع الحالي في سورية، على الرغم من ازدياد التشنج والمواجهة، تهديداً للسلام والأمن الدوليين.... نحن نعتبر أن ما يمكن أن يشكل تهديداً حقيقياً لأمن المنطقة هو التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية السورية، ولا سيما المحاولات لفرض حلول جاهزة أو الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك."⁽⁴⁾ وفي 3 آب/أغسطس، وفيما كان الوضع على الأرض يزداد سوءاً، أقر مجلس الأمن الدولي "بياناً رئاسياً" بشأن سورية أعرب فيه عن قلقه من تدهور الأوضاع وأسفه لمقتل أشخاص خلال التظاهرات. وفي اليوم التالي، أصدرت وزارة الخارجية الروسية بياناً جاء فيه أن "تسوية الأوضاع التي يشهدها البلد هي مسؤولية السوريين أنفسهم من دون تدخل خارجي، وعليهم القيام بذلك عن طريق حوار جامع، وهذا هو السبيل الوحيد لحل الأزمة."⁽⁵⁾ وفي 18 آب/أغسطس، زادت الولايات المتحدة وأوروبا الضغوط إلى حد كبير على بشار الأسد، وكان باراك أوباما في طليعة قادة العالم الذين طالبوا الأسد بالرحيل.⁽⁶⁾ وقد ردت وزارة الخارجية الروسية في بيان لها بأنه "يجب منح الرئيس بشار الأسد مزيداً من الوقت لتنفيذ البرنامج الكبير المعلن عنه للإصلاحات السياسية والاقتصادية.... ونحن نرى أن هناك إشارة واضحة لا لبس فيها أرسلت إلى السوريين بشأن وضع حد لمختلف أشكال العنف. وهذه الإشارة موجهة أيضاً إلى المعارضة التي يتعين عليها الدخول في حوار مع السلطات والنأي بنفسها عن المتطرفين.... واستناداً إلى هذه الاعتبارات، لا نشاطر الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي رأيهما في ما يتعلق بالرئيس بشار الأسد، وسنحافظ على خطنا الثابت والمتمسك بالمبادئ في الموضوع السوري."⁽⁷⁾

انطلاقاً مما تقدم، فإن روسيا ستستمر، على الأرجح، في الاعتراض على المحاولات الغربية من أجل زيادة الضغوط الدولية على سورية، فهي لا تريد أن يتكرر هناك السيناريو نفسه الذي حدث في ليبيا، أي أن يقود الناتو تدخلاً عنيفاً آخر يتكفل بالنجاح.

الهوامش

- (1) Dmitri Trenin, "Russia's policy in the Middle East: prospects for consensus and conflict with the US", A Century Foundation Report / www.tcf.org
- (2) Marwan Cabalan, "Old Ties Revived" / Syria Today / <http://syriatoday.com/st/index.php/june-2010/586-politics/7769-old-ties-revived>
- (3) Podzerob A., "About Russia-Syrian relations" / Institute of the Middle East / <http://www.iimes.ru/rus/stat/2010/04-01-10.htm>
- (4) "Russia sees current situation in Syria as no threat to international peace, security" / Xinhuanet/http://news.xinhuanet.com/english2010/world/2011-04/28/c_13849056.htm
- (5) On the Security Council Presidential Statement on Syria / The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation / http://www.in.mid.ru/bdomp/brp_4.nsf/e78a48070f128a7b43256999005bcbb3/e32a9ac606d36781c32578e200515ca8!OpenDocument
- (6) "Syria: Assad must resign, says Obama" / The Guardian <http://www.guardian.co.uk/world/2011/aug/18/syria-assad-must-resign-obama>
- (7) Comment by Press and Information Department of Russian Foreign Ministry on a Question from Interfax News Agency Regarding the Situation in Syria / The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation / http://www.mid.ru/brp_4.nsf/0/14928FFE24BDD3A0C32578F100538F00

المصادر الأساسية:

صحيفة "هآرتس"

- النسخة المطبوعة

- النسخة الالكترونية بالعبرية <http://www.haaretz.co.il>

- النسخة الالكترونية بالإنجليزية <http://www.haaretz.com>

صحيفة "يديעות أحرونوت"

- النسخة المطبوعة

- النسخة الالكترونية بالعبرية <http://www.ynet.co.il>

- النسخة الالكترونية بالإنجليزية <http://www.ynetnews.com>

صحيفة "معاريف"

- النسخة المطبوعة

- النسخة الالكترونية بالعبرية <http://www.nrg.co.il>

صحيفة "يسرائيل هيوم"

- النسخة المطبوعة

- النسخة الالكترونية بالعبرية <http://www.israelhayom.co.il>

المواقع الالكترونية لأهم مراكز الأبحاث في إسرائيل.

صدر حديثاً : دليل إسرائيل العام 2011

رئيس التحرير: كميل منصور

مساعد رئيس التحرير: خالد فراج



يعرف هذا الكتاب بالواقع الإسرائيلي الراهن بمختلف جوانبه: السياسية والقانونية والأيدولوجية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والاستراتيجية. وإن يهدف إلى أن يكون مرجعاً موجزاً موثقاً به، فهو ينتهج أسلوباً وصفيًا وتحليلياً معاً، مستخرجاً معلوماته من المصادر الأولية. وهي إسرائيلية في أغلب الأحيان - ومرقفاً شروحه بالجدول الإحصائية والخرائط. ويشكل الكتاب تحديثاً شاملاً لدليل إسرائيل الذي... للمزيد